المجلة السعودية للدراسات التربوية
والنفسية
الإصدار الخامس عشر
المجلد (٦) العدد (١)
٢٠٢٥ (١-١٩)

التربية على القيم ودورها في بناء شخصية المتعلم

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

عبد المجيد المسكيني

دكتور باحث، العلوم الشرعية والدراسات الفقهية المقارنة، علوم التربية، المغرب

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢٨ فبراير ٢٠٢٥م

*** المقدمة**

أصبح من المعلوم أنه لا يمكن لأية أمة أن تنشد التنمية الشاملة دون أن يكون لها نظام تربوي قوي بكفايتيه الداخلية والخارجية. ولا يمكن لأي نظام تربوي أن يكون كذلك، إلا بمدى قدرته على تخريج أفواج مؤمنة بقيمها وأصالتها من جهة، وخبيرة مدربة في مجال العلوم والتقنيات من جهة أخرى. وذلك لأن التنمية الشاملة لا تعتمد على الكفايات والمهارات والمعارف التي يستطيع المتعلم امتلاكها فحسب، بل أيضًا على القيم التي يتمسك بها، وعلى المواقف والاتجاهات التي يتخذها اتجاه كثير من الأمور في المجتمع، ومنها اتجاه العمل وطبيعته، والزمن واستثماره، والتعاون ومداه، فعلى مثل هذه الجوانب الوجدانية والخلقية والإرادية في الإنسان، وعلى ما فيها من الإيجابيات تعتمد التنمية الشاملة إلى حدّ بعيد، وأهميتها لا تقل عن أهمية الجوانب المعرفية فيها.

ومن ثَمَّ، فإن تغيير المجتمع لا بد أن يتم من خلال تغيير الإنسان، أي أننا لا نستطيع تغيير المجتمع إلا إذا غيرنا الإنسان، وتغيير الإنسان لا يتم إلا من خلال إعادة بناء نسقه القيمي الذي يُعدّ مدخلًا مهمًا لتغيير أنساقه المعرفية والعلمية، من أجل أن يُصبح مشاركًا فعّالًا في تنمية مجتمعه على كافة المستويات. لهذا، تُعدّ القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات الإنسانية، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة، وما رافقها من تطورات هائلة في شتى المجالات المجتمعية، وما أحدثه ذلك من تغيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي.

ولا شك أن التربية على القيم تنطلق من كون القيم نسق من المبادئ والمثل والأفكار الموجهة لسلوك الفرد وتصرفاته، ومواقفه واتجاهاته، ولا قيمة للقيم إذا جردت من أدوارها وفرغت من محتواها، وظلت شعارات رنانة تتناقلها الألسنة في مختلف المحافل، ولم تتجسد في مواقف الأفراد

والجماعات وسلوكياتهم، كما أنها لا تنحصر في الأخلاق الدينية كالصدق والأمانة والتواضع مثلًا، وإنما تتسع لتشمل مجموعة من المجالات، تنتظم تحت المشترك الإنساني في بعده الكوني.

والتربية على القيم مهمة مشتركة بين العديد من الفاعلين، إذ هي عملية دورية مركبة تتداخل فيها كل مكونات المجتمع، وفي كل مرحلة تمرر قيم معينة توائم خصوصية تلك المرحلة، وتنضج بترقي الطفل في المستويات، غير أن الجزء الأكبر من التربية يقع على عاتق المؤسسات التعليمية بمختلف نظمها وبكل مكوناتها؛ باعتابرها المورد الخصب للتنشئة الاجتماعية السليمة، والحاضن الأنسب لبناء هذه القيم وفق أبعاد تربوية مثالية تهدف إلى الرقي بشخصية الطفل وتأهيله للاندماج في المجتمع، حتى يكون إنسانا صالحا منتجا، وهذه العملية تتطلب وسائل تربوية متنوعة، كما تحتاج إلى الاجتهاد في اختيار أحسنها وأنسبها.

ولأهمية هذا الموضوع في بعده التربوي ولارتباطه بمجال تميز الدول ورقيها، ونتيجة للانحدار القيمي الخطير الذي أصاب مؤسساتنا التعليمية في السنوات الأخيرة، وتداخل مجموعة من الأسباب في ذلك، ولكثرة التحديات التي تواجه قيمنا الإسلامية والوطنية، حاولت إثارة هذا الموضوع بهذه الدراسة المقتضبة والمتواضعة، لكشف دور هذه القيم في تربية النشء وبناء شخصية متوازنة قادرة على التفاعل الإيجابي والمساهمة في تنمية المجتمع وتطويره، ومحاولة إيجاد أرضية خصبة لتأسيس منظومة تربوية قيمية سليمة تستجيب لتطلعات المرحلة وقادرة على مواجهة التحديات الراهنة، وقد انتظم الحديث عن ذلك من خلال ثلاثة محاور كما يلي: –

١– مفهوم القيم وعلاقتها بالتربية

٢– أهمية القيم وخصائصها

٣– القيم التربوية ودورها في بناء شخصية المتعلم

*** مفهوم القيم وعلاقتها بالتربية**

القضية القيمية قضية كبرى تواجهها التربية المعاصرة في مجالاتها كافة، وهي تناقش على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، حيث تتعالى نداءات وأصوات الغيورين للاهتمام بمنظومة القيم وإعادة تشكيلها في قوالب مناسبة عند الإنسان المعاصر، لما يلاحظ من سيادة القيم المادية والفردية على أنماط حياته وتفكيره وسلوكه بكل ما تحمله هذه القيم من عشوائية وعدوانية، وسخط على الحياة، وتطرف، وابتعاد عن معايير السلوك الأخلاقي القويم، وتعلق بالحياة المادية وإهمال معايير الحق والفضيلة والإحسان.

ومما يعكس مظاهر الاهتمام بالقيم ما نلحظه من مناقشات حول طبيعتها وسماتها، واختلافات في تحديد مفهومها وتصنيف أنواعها، وتعد كلمة" القيم" من الكلمات الشائعة التي تتردد على ألسنة التربويين والمفكرين والمثقفين وغيرهم، وتسمع وتقرأ باستمرار في وسائل الإعلام المختلفة، وهذا يشير إلى ما تحتله هذه الكلمة من اهتمام تربوي وثقافي، وما تتضمنه من حمولة فكرية ومعرفية وسلوكية، تجعلها موضوعا متجاذب الأطراف ومتعدد الأهداف.

ويعد مفهوم القيمة، أو القيم، من المفاهيم المركبة، ولها استعمالات كثيرة ومتنوعة، ومجالاتها واسعة ومتشعبة.

وسأحاول من خلال هذا المحور تقريب المفهوم من القارئ قدر الإمكان، وكشف العلاقة الناظمة بين القيم والتربية، باعتبار موضوع البحث "التربية على القيم"، وتمهيدا لاستخلاص دور هذه التربية في تقويم المتعلم من خلال الإحاطة بجوانبها المتنوعة، والانفتاح على ما تجود به أنواعها من دروس تربوية ثرية، لها تأثير إيجابي على شخصية المتعلم في كل أبعادها وبكل تجلياتها.

أولاً: مفهوم القيم

أ- لغة: كلمة "قيمة" وجمعها "قيم" مشتقة من الفعل "قوم"، وقد استخدمت العرب هذا الفعل للدلالة على معان عدة أهمها: -

٢- الثمن والثبات: " واحدة القيم، فعلها "يُقيِّم"، وماضيها" قيَّم"، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول تقاوَموه فيما بينهم و "ما له قيمة" إذا لم يدم على شيء"[١].

٣- السياسة والرئاسة: ومنه ما قالته العرب عن الذي يرعى القوم ويسوسهم" فقيم: السيد وسائس الأمر"[٢].

٤- الصلاح والاستقامة: فالشيء القيم ما له قيمة بصلاحه واستقامته، ومنه قوله تعالى" دينا قيِّماً" (الأنعام: ١٦١) أي مستقيما، لا زيغ فيه، وكتب قيمة مستقيمة تبين الحق من الباطل[٣].

وتتفق هذه المعاني اللغوية مع المدلول العام الذي تحمله مفردة " قيمة"، فالقيم تتسم بالثبات، وفيها معاني الصلاح والاستقامة، وتُقَوِّم الأشياء فتجلها ذات قيمة، وتسوس الناس وتوجه سلوكهم وتصرفاتهم، إلا أن ما يلاحظ على هذا المدلول اللغوي أنه لا يحمل مضامين وأبعاد تَعنيه مفردة " القيم" في القاموس التربوي المعاصر من معان تخصصية دقيقة.

ب- اصطلاحا: يصعب الوقوف على الدلالات الاصطلاحية للقيمة وما تتضمنه من معان عند من يستعملونها كافة، فالقضية القيمية شائكة المعاني، متعددة المباني، كثيرة التفريعات، ومتشعبة التوصيفات، تضرب أصولها التاريخية إلى ما يزيد عن ألف وخمسمائة سنة، وهي قضية الإنسان الأولى، ومنطلق تفكيره، ومحط تأملاته، فجوهر الوجود الإنساني يقوم عليها، ويؤسس حولها، إذ لا معنى لحياة الإنسان بلا قيم تحكم تفاعله مع عوالم الأفكار والأشياء من حوله.

ونظرا لأهمية القضية القيمية في مختلف أبعادها، وتشعب مكوناتها، وتوسع تفريعاتها، وتعدد مجالاتها، فقد اختلف الفلاسفة والتربويون وعلماء الاجتماع والسياسة وغيرهم في تحديد مفهوم دقيق لها، والخروج بتصور ثابت عنها، تبعا لاختلاف زوايا نظرهم إليها، ومجالات اختصاصاتهم التي تناولتها، بين مضيق لدلالتها أو موسع لها،

---

[١]- الفيروز أبادي – القاموس المحيط – تحقيق مكتب التراث- مؤسسة الرسالة، ط/٢٠٠٥- ص: ٣٢٠.

[٢]- ابن منظور، أبو الفضل - لسان العرب- دار صادر، بيروت- ٥٠٢/١٢.

[٣]- الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى- تاج العروس من جواهر القاموس- المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية، مصر- ١٣٠٦هـ- ص:٣٧.

ففي الوقت الذي رأى بعضهم أن القيم لا تعدو" مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة" رآها آخرون أنها تتسع لتكون " معايير مرادفة للثقافة ككل"[٤]، وأنها " تلك الأشياء (نشاطات، خبرات...) التي بتوازنها يتحقق الوجود الإنساني"[٥].

وفي هذا الصدد يشير ديوي (DEWEW) إلى سعة التنوع والاختلاف الذي صاحب موضوع القيم بقوله:" إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية، بأن ما يسمى قيماً ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية، ومجرد تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد بأنها المعايير العقلية الضرورية التي يقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق"[٦].

واختلاف العلماء والمحتصين في تحديد معنى (القيم) يعود في جوهره إلى ما تتسم به القضية القيمية من عمق معرفي وثقافي وأديولجي، فنحن عندما نتحدث عن القيم فإننا ننطلق من ثقافة معينة تنتظم القيم في سلكها، وتدور في فلكها، فالتعاليم الدينية والرؤى الفلسفية والتربوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، تعد كلها أصولاً فكرية تحكم تفاعلنا مع القضية القيمية وتأثرنا بها.

وفيما يلي أعرض بعضا من التعاريف التي يتوافق عليها ثلة من العلماء والمختصون في المجال التربوي، وإن اختلفوا في جزئيات منها، وذلك لتقريب القراء منها وتوضيح طبيعتها.

فقد عرفها بعضهم بأنها " موجهات السلوك لكل إنسان، مستندة في تشكيلها إلى عدة عوامل أبرزها العقيدة الدينية، والخبرة الشخصية، والتنشئة الحاصلة، والثقافة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وأعراف"[٧].

كما عرفها آخرون بكونها " المعنى الخُلقي الذي يستحق أن يتطلع المرء إليه بكليته ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه، أي أنه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين اثنين: استحقاق التوجه إليه، واستحقاق التطبيق له"[٨].

ويذهب التربوي الفرنسي (غي روشيه، متأثرا في ذلك بكل من " دوركايم" و " بارسونز") إلى اعتبار القيمة الركيزة الأساسية التي يستند إليها الفعل، حيث قال:" القيمة طريقة في الحياة أو العمل، ينظر إليها الشخص أو الجماعة بوصفها مفهوما يلتبس ويتشخص به الأفراد وتصرفاتهم ويصبح شعارا لهم"[٩].

---

[٤]- زاهر، ضياء- القيم في العملية التربوية- مؤسسة الخليج العربي، القاهرة- ١٩٨٤، ص:١٠.

[5] -Beck,C- Better Schools: A value Perspective,london,Falmer Press-1990-p:2

[٦]- دياب، فوزية - القيم والعادات الاجتماعية- دار النهضة العربية، بيروت- ١٩٨٠- ص:١٦.

[٧]- علي سعيد إسماعيل- التربية السياسية للأطفال- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - ٢٠٠٨م، ص:٢١٩.

[٨]- عبد الرحمان، النقيب، وبدرية صالح الميمان – تأصيل المفاهيم التربوية ضرورة أولوية للإصلاح التربوي- دار النشر للجامعات، القاهرة- ٢٠٠١م، ص:١١.

[٩]- زين الدين، علي - الأخلاق والقيم في المعنى والمصطلح والتجربة - مجلة الاستغراب، العدد/٤، بيروت- ٢٠١٦م، ص:١٣٨.

واعتبرها بعضهم "حالة عقلية ووجدانية، يمكن تعرفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات، هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العملي، وتدفع الحالة العقلية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطاً إنسانياً – يتسق فيه الفكر والقول والفعل– يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية"[١٠].

وهناك من ربط القيم بالتضحية والرغبة وهي بذلك صادرة عن الفاعل الذي يرغب في العيش مع الجماعة وساهم في تشكيل منظومة القيم التي تتسم بالتعالي والرمزية كالعدل والخير، وهي قيم يرغب فيها كل فرد، وهي حاصل اتفاق ناتج عن فعل التواصل، وعليه تشكلت القيمة رمزا ومثلا أعلى، والقيمة من حيث أنها رمز تجلت في الفاعل من خلال سلوكياته، وتمثلات تنبعث من فعل التفاعل مُشكِّلة عالما بذاته قائما على مجموعة من الروابط الاجتماعية التي تُنشِّط القيم المضمرة في باطن كل فرد فتشعره بلذة آنية مرتبطة بالحالة والمرجعية الخاصة به...[١١].

ولا شك أن القيم فيما نحن بصدده لا تنفك عن محيط الإنسان بمجالاته المختلفة، فهي نتاج تراكمات اجتماعية وتربية بيئية ينشأ فيها الإنسان ويكبر، وتتلاقح بمؤثرات وموجهات متعددة تتجاذب حياة الإنسان في مختلف مراحلها.

وعلى هذا المعنى تدور التعاريف السابقة وتعاريف العلماء المعاصرين. والقيم في مجملها لا تخرج عن كونها محددات لسلوك الإنسان وضوابط موجهة له، وهي المصدر الحقيقي لكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، وهي المعيار الذي يحدد مكانة الإنسان وقيمته وسط مجتمعه، كما تعد مرجعا يَحكم تصورات الإنسان وتصرفاته وتحميه من الإنحراف والسقوط في متاهات العوالم المادية المليئة بالتناقضات، وسياجا للحفاظ على ما يكتسبه الإنسان من إرث تربوي طلية حياته، ودافعا نحو تسلق مراتب الرقي الاجتماعي والمحافظة على نسق النمو والتطور الإيجابي.

ثانياً– علاقة القيم بالتربية

إن التربية عمل إنساني ومادتها الإنسان، وبذلك فهي تسعى إلى محاولة التعرف على النظريات والأبحاث الخاصة بالقدرات العقلية للإنسان، ومعرفة المهارات المختلفة، والعوامل التي تؤثر في تلك القدرات والمهارات وكذلك العوامل والظروف التي تساعد على صقل تلك القدرات العقلية وكيفية الاستفادة من المواهب وكيفية توجيه النظر إلى أفضل السبل لحل المشكلات وخلق التفكير الناقد لدى الطلاب، وكذلك الخصائص النفسية والسلوكية لهم[١٢].

---

[١٠]- عبد الحليم، أحمد مهدي - تعليم القيم فريضة غائبة - مجلة المسلم المعاصر- ١٩٩١، ص: ٦٥-٦٦.

[١١]- روزقبر جان بول، فلسفة القيم، تعريب عادل العوا، بيروت، دارعويدات للطباعة والنشر، ٢٠٠١، ص: ٤٠، بتصرف.

[١٢]- الحياري ألاء محمد- أصول التربية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية- دار امجد للنشر والتوزيع، الأردن- ٢٠١٥م، ص:٢٥.

وتعمل التربية على تحقيق النمو للإنسان من الناحية الأخلاقية والعقلية والجسمية والاجتماعة؛ لأنه يتفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية الذي يعيش فيها، وهذا يعني تداخل عناصر مختلفة في بيئة الإنسان لإحداث النمو، وتشمل هذه العناصر كل القوى المُعلمة في المجتمع إلا أن هذه القوى تختلف فيما بينها تبعاً لدرجات القصد من التربية، فالفرد يتعرض لخبرات سارة ومؤلمة، كما يتعرض لمواقف مختلفة في بيئته الطبيعية ويتعلم منها أشياء غير مقصودة تعلمها لذاتها، وهذا يعني تربية الوسط أو البيئة[١٣].

ولا تتم التربية الصحيحة للإنسان إلا بمراعاة مختلف جوانب شخصيته؛ المعرفية والوجدانية والنفس حركية، من خلال توظيف منظومة القيم التي تستهدف كل هذه الجوانب بما تتضمنه من تنوع وثراء قيمي يواكب كل ما تفرزه شخصية الإنسان – بتركيبتها المعقدة– من أفعال وتصورات وسلوكات ومشاعر مختلفة، والقيم تتكامل مع بعضها لتنتج تربية متكاملة متوازنة، إذ مراعاة جانب على حساب جانب آخر في الشخصية ينحرف بها عن استقامتها، ويفرز خللا في تصوراتها، فما قيمة المعرفة العقلية المجردة عن الإحساس والوجدان والشعور بالآخرين، وما قيمتها عندما تسلط على الإنسان لا لحمايته بل لتدميره وتمزيقه وتفتيته، وما أهمية الجسد الجميل عندما يخلو قلب حامله من القيم النبيلة والسلوك القويم، وما قيمة الوجدان والقلب عندما يغيب العقل الواعي والجسد السليم.

والتربية تقوم على دراسة الفرد وبيئته عن طريق الأنظمة والعلاقات والقيم والمفاهيم والعادات والتقاليد، فالتربية لا تأتي من فراغ بل تستمد مقوماتها من المجتمع الذي تعمل فيه، كما أنها تهدف إلى تحويل الفرد من مواطن بالقوة بحكم مولده في المجتمع إلى مواطن بالفعل يفهم دوره الاجتماعي ومسؤوليته وسط الجماعة التي ينتمي إليها، وهي كذلك السبيل إلى استمرار الثقافة مهما كان الطابع العام لهذه الثقافة ودرجة تطورها، ومهما كانت الصورة التي تأخذها العملية التربوية، فهي تحدث في المدرسة والمنزل والمؤسسات التعليمية، وتحدث بطريقة مباشرة ومقصودة[١٤].

وإذا كانت القيم بمفهومها السابق تشكل هوية الإنسان وتسمو به نحو المثالية المنشودة، وترتبط بشكل مباشر بحال المجتمع من الازدهار والانحدار، وتعتبر المحدد الرئيس لتقدم المجتمعات في كل المجالات، فإن التربية باعتبارها وسيلة لتنمية القيم وترسيخها ولأنها عملية قيمية أصلاً، لها ارتباط وثيق بالقيم يجعهما عقد ناظم يستوجب التبعية والارتباط الدائم، لا ينفك أحدهما عن الآخر، إذ الحديث عن التربية لا بد أن يكون ملازماً للقيم، لأن هذا التلازم يعني رؤية معينة للإنسان والمجتمع والعالم، فما أحوجنا في هذه الظروف الصعبة التي تعصف بالمجتمعات العربية على المستويات كافة إلى تعزيز ثقافة القيم أولاً، ثم العمل على تمكين الأجيال من السلوك بمقتضاها، فالإعلاء من شأن التربية على القيم، والعمل على تعميمها يؤدي حتماً إلى أن يُصبح الإنسان أكثر حرية وكرامة، في حين أن الحط من قيمتها والتقليص من

[١٣]- مرسي محمد منير- أصول التربية- عالم الكتب، القاهرة- ط/١٩٩٩م، ص:٢٥.

[١٤]- المصدر نفسه، ص: ١٦-١٧.

دورها يرسخ الجهل والاستبداد، ويسبب على المدى البعيد انهيار النظام الاجتماعي برمته.

وهكذا فالتربية على القيم تنطلق من كون القيم نسق من المبادئ والمُثل والأفكار الموجهة لسلوك الفرد وتصرفاته، ومواقفه واتجاهاته، ولا قيمة للقيم إذا وظفت في شعارات مجردة، ولم تتجسد في مواقف الأفراد والجماعات وسلوكياتهم، كما أنها لا تنحصر في الأخلاق الدينية كالصدق والأمانة والتواضع مثلًا، وإنما تتسع لتشمل مجموعة من المجالات، إذ نجد القيم الإنسانية، كالتسامح والحوار والسلام وحقوق الإنسان.. وكذلك القيم الاجتماعية كالتضامن، والوطنية، والتضحية، والقيم الشخصية كالصبر والشجاعة والكرم.. إلى غير ذلك.

كما أن التربية على القيم تفتح المجال لتوظيف وتفعيل المعارف والمهارات التي تم اكتسابها، وتضفي على القيم الواقعية المطلوبة، إذ تقدمها في سياق عملي، مع التأكيد على أهمية أن تتبنى وزارة التربية والتعليم مشاريع تربوية بهذا الخصوص.

من هنا، يتعين التفكير في كل تربية باعتبارها تربية على القيم وليس مجرد نقل لها، فالمؤسسة التربوية هي الفضاء الذي تتم فيه تقييم ما هو أخلاقي وجمالي وسياسي، وإذا انتفى التقييم انتفت المسؤولية وسادت اللامبالاة، لذا ينبغي، من منظور القيم، أن تكون المؤسسة التربوية نموذجاً للمجتمع وليس العكس، لذلك علينا أن نبحث عن تسامي القيم داخل المؤسسة التربوية. فداخل كل مجتمع تؤكد القيم على ضرورة التسامي لمواجهة خطر اللامبالاة والسقوط في اللامعنى.

وتأكيدا لما سبق اتخذ المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي بالمغرب من التربية على القيم منطلقا لبناء مدخلات تجديد وتطوير المنظومة القيمية، ويظهر ذلك من خلال الاعتبارات التي أسس عليها بناء هذه المنظومة، وفي مقدمتها[١٥]: –

١– الأهمية الخاصة التي تكتسيها منظومة القيم والتربية عليها، مما يجعلها في صميم انشغالات الدولة والمجتمع.

٢– كونها تمثل أحد مداخل تكوين وتأهيل الرأس مال البشري وتنميته بشكل مستدام.

٣– كون تعزيز التربية على القيم يعد رافعة للاضطلاع الأمثل بمختلف وظائف المنظومة التربوية والارتقاء بجودتها على مختلف المستويات.

٤– كون آثار التربية على القيم لا تهم ميادين التعليم والتكوين والتأهيل والبحث فقط، بل تمتد إلى عمق التنمية البشرية والبيئية.

*** أهمية القيم وخصائصها**

إن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض، وميزه بحسن التركيب والخِلقة، وأمره بحسن التدبير والاستخلاف، ووهبه صفات متعددة شكلت كنهه، وساهمت في حسن تسييره وتدبيره، وحسن تعامله مع المخلوقات ومحيطه، وارتقت به إلى عوالم الجمال بكل تجلياته، وقد اختلف العلماء والمختصون في تصنيف هذه الصفات وتسميتها بين من اعتبرها مبادئ إنسانية ثابتة تقوم عليها حياة الإنسان وتنجلي من خلالها وظيفته الكونية، وبين من اعتبرها قيما مرتبطة بالبيئة التفاعلية التي

[١٥]- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، يناير ٢٠١٧.

يعيش فيها الإنسان وتختلف تبعا لاختلاف البيئات والأوضاع الاجتماعية.

وإذا كان المختصون والمفكرون والعلماء قد اختلفوا في ماهية القيم وأنواعاها وسماتها – كما سبق بيانه– تبعا لاعتبارات متعددة، فإنهم في المقابل اتفقوا على أن القيم وحدة متكاملة ومنظومة متوازنة، تستهدف إصلاح الفرد والمجتمع معا، من خلال اشتمالها على نظام تربوي مؤطر بروح المصلحة؛ يوازن شخصية الفرد ويضبط توجهاته بما يحقق له الفلاح ولمجتمعه الصلاح.

وفيما يلي سأعرض لأهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع بما يؤكد أحقيتها بالاهتمام والتجديد والتطوير، وإذا كان الإعلاء من شأنها كفيل باستعادة بريق المجتمعات ورقيها وجعلها في مصاف الدول المتحضرة، فإن التخلي عنها وتجاوز أدوارها لا شك هو من أبرز أسباب فساد المجتمعات وانحرافها.

أولاً: أهمية القيم

١– بالنسبة إلى الفرد: تعد القيم جوهر الكيان الإنساني، فهي المحدد الأساسي لبناء الشخصية الإنسانية وتشكيل كنهها، فبالقيم يصير الإنسان إنساناً وبدونها يتخلف عن ركب الحضارة ويفقد هويته المشكلة لإنسانيته، ورسالة الإنسان في الأرض تكمن في الاستخلاف وإعمارها، وذلك يتحقق بالفضائل والأعمال الصالحة والقيم الإنسانية النبيلة التي تسمو بالإنسان وترتقي به في سلم الفضيلة، بما يسهم في تخليق حياته وتوجيهها لخدمة الغاية الوجودية.

إن ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات تكريمه بالعقل الذي يوظفه وفقا لتصوراته وميولاته وخبراته، وهو منطلق المنظومة القيمية التي منها ينبع سلوكه الإنساني وتتحدد ملامح شخصيته؛ لذلك ينبغي أن نعزز لديه مخزون القيم الإنسانية الحسنة، ونزكي الجوانب الفاعلة في شخصيته المبنية على القناعة والإرادة والتوافق النفسي مع الذات.

والنفس البشرية مجبولة على غرائز لها تأثير على سلوك الشخص، وتحدد ميولاته، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وتعد الغرائز والشهوات من أكبر مداخل السوء والفساد ما لم يسيطر عليها الإنسان، وقد ضبطها الإسلام بأحكام تشريعية ونظام قيمي له دور فعال في تأطيرها وتسييج محيطها.

وتورث هذه القيم صاحبها الطاقة الإيجابية الفاعلة، فتكسبه وضوح الرؤية والبصيرة، فينتقل من نجاح لنجاح ومن إنجاز لإنجاز لا يقف عند حد معين، مما يضمن سعادته والرضا الذاتي والطمأنينة النفسية لديه، بينما القيم السلبية تورث العجز والكسل والضعف وسوء الحال[١٦].

ولعل بناء السياج القيمي بشكل سليم وموافق للفطرة الإنسانية، سيحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، وبدونه سيكون عبداً لغرائزه وأهوائه، وسيضيع وسط متاهات الحياة بلا بوصلة قيمية ترشده أو توجهه.

[١٦]- الجلاد، ماجد - تعلم القيم وتعليمها- دار المسيرة/عمان- ط:٢/٢٠٠٧م، ص:٣٩-٤٤.

٢- بالنسبة إلى المجتمع: تحظى القيم بأهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب، فالمجتمع الإنساني محكوم بمعايير تحدد طبيعة العلاقات القائمة بين أفراده وأنماط التفاعل بينهم في مختلف مجالات الحياة، وتحفظ القيم للمجتمع بقاءه واستمراريته، فلقد وضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من آياته التي ذكرت نهاية الأقوام التي تبنت القيم الفاسدة ورفضت معايير القيم الفاضلة، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل: ١١٢).

والقيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه عن غيره من المجتمعات، فالمجتمعات تختلف عن بعضها بما تتبناه من أصول ثقافية ومنظومة قيمية؛ لذلك فالمحافظة على هذه القيم يضمن الحفاظ على هوية المجتمع وهيبته، وأي خلل قد يصيب هذه القيم سينعكس بالسلب على المجتمع، حيث ستطمس ملامح هويته، وستتراجع قوته، وستتلاشى جذوره التي تأسست على تلك المنظومة القيمية، وما دامت القيم تمثل صورة المجتمع، وتترجم أوضاعه، فهي تمثل معيارا لتصنيف المجتمعات، وتقويم درجاتها في مختلف المجالات.

ومما يزيد أهمية القيم للمجتمع؛ أثرها في الحفاظ على بناء مجتمع نظيف صحي خالٍ من السلوكيات السلبية؛ ومع انفتاح المجتمع وتقاربه؛ وتداخل المسؤوليات التربوية، وتعدد التحديات القيمية، فقد زاد الثقل على المربين لبناء قيم سليمة وغرسها في النشء ليتمكنوا من التمييز بين الخير والشر، وما هو نافع أو ضار[١٧]، وليقودوا مستقبلا مجتماعتهم نحو التقدم المنشود، المُؤسَّس على منظومة قيمية صحيحة، والموجه بقيادة حكيمة رشيدة.

وهكذا فالقيم تُساعد المجتمع على تماسكه، وتُحدد له أهدافه ومثله العليا ومبادئه المستقرة، ومن ثَمَّ يستقيم المجتمع في وحدة واحدة تحفظه من التشرذم والفرقة، وذلك لكون القيم بمثابة الميزان الذي توزن به الأشياء، أي تُعدّ معياراً لما يُقبل أو يُرفض من السلوكيات.

بقي أن أشير إلى ما قاله الفيلسوف الوجودي "كيركيجارد" وهو يؤكد على أهمية القيم في الحياة الإنسانية، إذ يقول: "صحيح أننا نتعلم لكي نصبح عمالاً أكفاء أو أطباء مختصين أو موظفين إداريين، لكننا لن نكون كذلك من دون إطار قيمي؛ نُمارس أعمالنا وفق ما يرتضيه المجتمع، وأن جميع شهادات ومهن الدنيا لن تشبع رغبتنا في المعرفة، ولن تعالج قلق وجودنا في هذا العالم إلا إذا اتخذنا من القيم موجهاً ومرشداً يدلنا على الطريق الصحيح"[١٨].

ثانياً: خصائص القيم

لا شك أن القيم كما سبق معنا مفهوم مركب وتتداخل فيه مجموعة من المحددات والموجهات، وتمتاز القيم تبعا لذلك بعدة خصائص تكون ماهيتها وتميزها عن غيرها من المفاهيم القريبة منها، وإذا كانت القيم من المواضيع والمفاهيم التي لم تحظى باتفاق كلي واختلفت تبعا لاختلاف المجالات التي توظف فيها ولاختلاف التخصصات التي تهتم بها وتنتظم

[١٧]- المرجع السابق، ص:٤٤-٤٦، بتصرف.

[١٨]- العوا، عادل - العمدة في فلسفة القيم- دمشق، دار طلاس للنشر والترجمة والتوزيع، دمشق – ١٩٨٦م- ص:٤٦.

وفقها، فإن الخصائص المميزة لها تخضع لنفس المعيار من التعددية والاختلاف في التحديد بين أهل الاختصاص.

وفيما يلي نعرض بعضا من هذه الخصائص التي تعتبر محط اتفاق الأغلبية من المتخصصين، والقاسم المشترك بينهم.

١- الثبات والدوام: تتميز القيم بخاصية الثبات، فهي من مقومات وجود الأمم واستمراريتها في الزمان والمكان، كما أنها تدوم بدوام المعتقدات والاختيارات الفكرية المؤطرة لها، وتترسخ برسوخها، ولا يصيبها التغيير إلا بعد حقب طويلة من التألق والعطاء، حيث تتأثر عادة بحركية الأمة، وأوضاع صحتها ومرضها ونهوضها وانحطاطها[١٩].

وعليه فإن القيم بالنظر إلى هذه الخاصية تشكل ماهية المجتمع وترسم معالم بنائه، وتؤطر حدود تطوره، فتضمن له الثبات والاستقرار ما دام الأفراد متفقين ومحافظين عليها، والقيم بهذا تترجم صورة المجتمع وأوضاعه، وتسيج محيطه بأسيجة متينة قادرة على مواجهة مختلف التحديات، والثبات أمام عواصف المتغيرات.

٢- الفاعلية: وهي قدرة القيم على إبداع الأفكار، وصبغها بصبغتها الخاصة، وتوجيه العواطف وتأجيجها، وضبط السلوك وتقويمه، وتوحيد وجهة الأمة وتعبئتها في ميدان التنمية والبناء الحضاري، ومن ثم فإن قيم الأمة لابد أن تحضر بقوة فاعلة، في سياستها وافتصادها وقانونها واجتماعها وتربيتها وفنونها، وأن تشكل القلب النابض في ثقافتها وفلسفتها في الحياة[٢٠].

والقيم بفاعليتها تشكل حركية دائمة داخل المجتمع، فهي نتاج تفاعلات اجتماعية متواصلة، وخاضعة لعاملي التأثير والتأثر؛ توجه، تنتج، تصحح، تبني، وتنبض بنبض الحياة، فهي قوالب متناسقة مع أنساق المجمتع المختلفة، وإذا تجردت القيم من دورها وفقدت بريقها كان ذلك أدعى لأن ينسلخ الأفراد عنها، لأن القيم قوتها في حضورها وتأثيرها في وجودها، وبخفوتها يخفت التفاعل الإنساني معها، وبمرور السنين لا يبقى من القيم إلى ما بني على أصل قوي ونشأ وفق أسس وتعاقدات متينة، ومشترك إنساني ثابت وأصيل.

٣- التكاملية: فالقيم توجد ضمن منظومة متكاملة يشد بعضها بعضا، وتقوي ممارسة كل قيمة ما يرتبط بها من القيم الأخرى، وتحتاج ممارسة كل قيمة إلى ما يتصل بها من القيم، وتستدعي اكتساب أخلاقها ومقتضياتها السلوكية والانفعالية، وكل إخلال بقيمة ما يؤدي حتما إلى تصدع المنظومة برمتها ويعرضها للإنهيار[٢١].

فالقيم تخضع لمنظومة واحدة منضبطة ومتكاملة هي منظومة القيم، إذ تنتظم وفقها وتتوحد في أهدافها وتوجهاتها، وبالتالي فهي تتكامل مع بعضها البعض وتتأثر وجودا وعدما بنظام المنظومة وأسسها، وعليه فالقيم الإيجابية جزء واحد لا يتجزأ ولا يقبل التفييء، إذ لا يمكن مثلا الفصل بين قيمتي

[١٩]- مرعي، توفيق - الميسر في علم النفس التربوي - دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن- ١٩٨٢م- ص: ٢١٧.

[٢٠]- أبو النيل، محمود السيد- دراسات في علم النفس الاجتماعي- الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة - ط١٩٨٤/٣م - ١٤١/١.

[٢١]- عكاشة، محمود فتحي ومحمد شفيق- مدخل إلى علم النفس الاجتماعي- بلبرنت للطباعة والنشر، القاهرة- ١٩٧٩م- ص: ٢٤٧.

الخير والعدل، وقيمتي الصدق والأمانة، وقيمتي الرحمة والإنسانية، وقيمتي الحرية والكرامة، فكل قيمة ترتبط بغيرها وتكملها، وتنتظم كلها بعِقد ناظم يؤطره المشترك الإنساني في أبعاده الوجودية والبنيوية.

٤- فطرية وإنسانية: فالقانون الأخلاقي المفطور في نفوس الأفراد لا يقيس خيرية العمل بما ينتج عنه من نتائج طيبة، أو بما فيه من حِكمة، فهو لا يستمد من التجربة الشخصية، ولكنه فطري طبيعي داخل الإنسان، فلا خير في الدنيا إلا إرادة الخير، والقصد هنا تلك الإرادة التي تنبع من داخل الإنسان لاتباع الخير من خلال إنسانيته[٢٢].

وهذا ما ذهب إليه "كونفوشيوس kanfochuos" إذ يؤمن بأن المرء يولد مفطورا على الخير وفي ذلك يقول: " إن الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم، وكأنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات"[٢٣]، وكأنه استوحى كلامه من قوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"[٢٤].

والقيم أصلها المشترك فطرة بشرية نابعة من رغبات داخلية تدفع أصحابها إلى البحث المستمر عن توافقات خارجية تسهم في إيجاد مبادئ وقيم متفق عليها، يعيش تحت ظلالها الجميع بأمن وسلام، فهي بمثابة الحضن الذي تحتمي به الجماعات وتحفظ هويتها بما يمكنها من مواجهة ما تفرزه الطبيعة من تغيرات ومستجدات، ويضمن لها الاستمرار وفق منهاج قويم يحدد وجهتها ويرسم معالم طريقها على المدى البعيد.

٥- نسبية: أي أنها تختلف عند الشخص بالنسبة لحاجاته ورغباته وتربيته وظروفه، كما أنها تختلف من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، ومن ثقافة إلى ثقافة ومن شعب إلى شعب؛ ولا يوجد مقياس معين شامل وعام نستطيع أن نقرر وفقه قيمة معينة ونعممها على جميع المجتمعات. إذ أن المجتمعات والشعوب تختلف في أحكامها القيمية، فمثلا مقياس الجمال يختلف من بلد إلى آخر بل ومن شخص إلى آخر، كما أن " القبيح في مجتمع معين قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، ودرجة الفضيلة في سلوك بعينه قد لا تتماثل في فردين أو مجتمعين مختلفين، فالعادات الأخلاقية والتقاليد المتصلة بالمجتمع لا ترجع لعصر واحد بل إلى عصور متباعدة..."[٢٥]، والقيم الأخلاقية تتفاضل وتختلف بين المجتمعات تبعا لاختلاف معتقداتها، وتنوع بيئاتها.

وهكذا تعد القيمة مسألة نسبية وشخصية، متغلغلة في الرغبات الباطنية، تنبع منها وتنطلق، لترسم سعادة ذاك الشخص وفق ظروفه وحاجاته، وهي بذلك لا يمكن أن تُفهم إلا في المجال السلوكي وفي الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد، وتسهم المؤثرات الخارجية في تحديد مسار تلك القيم، والتأثير في بيئة نموها وتكونها.

---

[٢٢]- محمود زكي نجيب، وأحمد أمين- قصة الفلسفة الحديثة- مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة- ٢٠٢٠م، ص: ١٥٨.

[٢٣]- عسكر، علاء صاحب- نحو رؤية للقيم في ضوء القرآن والسنة النبوية- أطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد)- ٢٠٠٢، ص:١٧١.

[٢٤]- رواه البخاري في كتاب -"الجنائز" - باب ما قيل في أولاد المشركين- (حديث رقم: ١٣٨٥).

[٢٥]- إبراهيم محمد كمال- في الفلسفة والأخلاق- دار الكتب الجامعية، القاهرة- ١٩٦٨م، ص:١٦٦.

٦- اجتماعية: إن المجتمع هو الذي يرسم للفرد منهج حياته اليومية، وكذلك الفرد في حياته مع أسرته، وفي مزاولته مهنته، وفي كل أمر من أمور حياته اليومية وتعاملاته مع الغير، فلا يستطيع الإنسان إلا أن يخضع لأوامر، وأن ينقاد لواجبات، وعلى الفرد في كل لحظة أن يختار؛ فنختار بصورة طبيعية ما هو متوافق معنا ومع القواعد المرسومة في مجتمعنا، فنجد أن المجتمع يرسم لنا الطريق للقيام بالواجبات التي تسعى لتحقيق المواطن الصالح، والإنسان الفاضل الذي يحمل حظاً وافراً من الرأي الصائب، والشعور بالتهذيب أثناء الالتزام بالواجبات التي تحث على اتباع الأخلاقيات داخل المجتمع[٢٦].

والقيم وإن كانت كثيرة ومتنوعة؛ منها الدينية والاقتصادية والفكرية والتربوي والسياسية ... إلا أنها لا تنفك عن المجتمع وكلها تتأثر بعادات وتقاليد وطبائع المجتمع، فالمجتمع له تأثير مباشر على هذه القيم، وهي في الأصل مغلفة بطابع اجتماعي وإن اختصت بمجالات معينة، إذ في النهاية هي خادمة للمجتمع وموجهة لأفراده، وهي تحتمي بشعابه وتتقوى وتستمر باجتماع أفراده وتوافقهم عليها، والفرد في الأصل نتاج المجتمع وابن بيئته يتربى على قيمها وينشرها بأخلاقه وسلوكه ولا يخرج عن الجماعة في نموه وتطوره، فكانت القيم تبعا لذلك اجتماعية متوافق عليها مجتمعيا وتفاعلية من حيث التأثير والتأثر.

*** القيم التربوية ودورها في بناء شخصية المتعلم**

يعترف علماء التربية بأن حقل القيم واسع لا حدود له، إلا أن القيم التي تستهدف التربية المدرسية تتصل بفعل المعرفة ونتائجها، وتهتم بتشكيل المتعلم في مختلف أبعاده، وتشتمل على ثلاثة أنواع[٢٧]: - القيم التقليدية التي تشجع التماسك الاجتماعي وتحيل على الوفاء إلى الماضي والاعتزاز بالأسلاف. وهي قيم جماعية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات.- القيم الحديثة: التي تقوم على تكوين الفرد المستقل الذي يتحلى بالروح النقدية وبالشعور بالمسؤولية، وهي قيم تعمل على تحويل المتعلم إلى فرد راشد قادر على إصدار الأحكام على الأشياء.- القيم المعايير: التي تمكن الفرد من الحكم على الأشياء كقولك: تلميذ جيد، طفل خلوق.

وتلعب هذه القيم دورا مهما في بناء شخصية المتعلم من مختلف جوانبها، إذ تشكل الأساس الذي يُقوِّم أبعادها المركبة، وهي المحدد والموجه لسلوكيات وفكر المتعلم، ولا يستقيم سلوك المتعلم إلا إذا انتظم وفق الإطار العام لهذه القيم التي تتأسس عليها منظومة التعليم برمتها، وتنطلق منها كمحددات أساس لكل تغيير أو إصلاح، فمنظومة القيم هي ذلك البيت الحاضن لمختلف القواعد والمبادئ الإنسانية التي تستنير بها المجتمعات وتحتمي بها في مواجهة مختلف التحديات، لا يسما تلك التي تواجه مجال التعليم الذي هو منارة الهدى ومصباح الدجى، وهي في شموليتها تحتوي المتعلم وتسيجه بما يحتاجه من أذرع وقائية، باعتباره أساس أي تطور

[٢٦]- برجسون هنري- منبعا الأخلاق والدين- ترلاجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ١٩٧١م، ص:٢٤-٢٥.

[٢٧]- أوليفير.روبول - قيم التربية- باريس- ط٢/٢٠٠٥م- ص: ٤-٥.

أو تقدم، وهو رأس مال المجتمعات التي تنشد التطور والصلاح في مختلف المجالات، فكان الاهتمام بهذه القيم من صميم الاهتمام بالمتعلم الذي هو محور العملية التعليمية التعلمية.

وفيما يلي أعرض لبعض القيم التربوية المتفق عليها، وكيف تسهم في بناء شخصية المتعلم وترفع من شأنه، وتزوده بما هو ضروري لشخصيته في مختلف مراحل تعلمه.

أولاً: القيم الجمالية الفنية

ويعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق أو التنسيق وهو ينظر إلى ذلك العالم المحيط به نظرة تقدير من ناحية التكوين والتنسيق، وتُكوِّن لديه القدرة على التذوق للجمال والفن[٢٨] والانغماس بوجدانه في عوالم الإبداع.

والمتعلم يكتسب هذه القيم من خلال الأنشطة المندمجة التي تغرس فيه حب الإبدع، وتكشف طاقاته الكامنة في مجالات متعددة، فيستشعر جمال المؤسسة ويتذوق متعة العلم والتعلم، بعد انفتاحه على عوالم أخرى يتحرر فيها من قيود التعلمات الفصلية، وذلك يُسهم في بناء شخصيته في بعدها الجمالي والذوقي، فيرتقي بفكره ويسمو بوجدانه إلى مراتب النضج النقدي والفني، فتتغير نظرته للأشياء وتتجمل بأفكار جديدة وميزات فريدة، تجعله قادرا على تسلق درجات التميز الإبداعي في المجتمع بثبات ونجاح.

ولتحقيق هذه النتائج لا بد من بناء جسر سالك إلى قلب المتعلم ووجدانه، يتجاوز التلقين الآلي الذي يقيد حدود الاجتهاد والإبداع لدى المتعلم، ويحصرها بين جدران الفصل ووسط صفحات الكتب المدرسية، وهذا يستوجب تشجيع التلاميذ وتحفيزهم على المشاركة الفعالة في مختلف الأنشطة المندمجة وخلق جو تنافسي بينهم مبني على قيم تربوية سليمة مؤطرة بروح المصلحة الفضلى للمتعلم.

ثانياً: القيم الدينية

تستند القيم الدينية في الإسلام على مجموعة من القواعد والمبادئ والأحكام، فهي ربانية المصدر، نزل بها الوحي من الله تعالى، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، فأرشدت ووجهت سلوك المسلم في المواقف المختلفة، وبينت له طريق الخير والشر، والحلال والحرام، وشكلت الإطار المرجعي للمجتمع الإسلامي[٢٩].

وباعتبار المتعلم فردا من أفراد المجتمع المسلم فإن للقيم الدينية حضور وازن في ضبط سلوكه وتشكيل شخصيته، وترشيد علاقاته داخل المؤسسة وخارجها، وهي تهدف إلى " تقوية قيمه الروحية، وتنعكس عمليا على سلوكه من حيث الالتزام بالواجبات والمسؤوليات تجاه نفسه وغيره، وهي تحدد شخصيته وتوجه وتحكم تصرفاته وسلوكاته وخياراته في كافة مجالات الحياة، وتساعده في بناء وتشكيل

[٢٨]- نورهان منير حسن فهمي- القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية- المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- ١٩٩٩م- ص: ١٣٤.

[٢٩]- نشواتي عبد المجيد، علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٣م، ص:٢٦٥.

شخصيته، وهي معيار لتقييم سلوكه، وحمايته من الانحراف..."[٣٠].

وما دامت القيم الدينية تشكل أهمية كبيرة في حياة المتعلم ولها دور بارز في بناء شخصيته، فإن المسؤولية الملقاة على عاتق أساتذة مادة التربية الإسلامية وباقي الأطر التعليمية عظيمة في تربية النشء على هذه القيم، والحرص على تمريرها إلى المتعلمين في قوالب ملائمة ومن خلال وضعيات مناسبة، حتى تستقر في وجدانهم فتشرئب لها النفوس، وتتطلع إليها الأفئدة، وتؤتي أكلها ثمارا طيبة الآثار بما يحقق الصلاح والإعمار.

والعلاقة بين القيم الدينية والتربية وثيقة، فالقيم أهداف نسعى إلى تحقيقها، والتربية أداة ووسيلة منفذة لها من خلال مناهج تربوية مخططة ومصممة بعناية تمكنها من تحقيق نتائجها التربوية السلوكية بفعالية.

والتربية في الإسلام تعني بلوغ الكمال بالتدريج، ويقصد بالكمال هنا كمال الجسم والعقل والخلق والدين؛ لأن الإنسان موضوع التربية. وهو خليفة الله في أرضه، كرمه على كثير من خلقه، ولذلك يجب أن تأتي تربية الإنسان متماشية مع مطالب هذه الخلافة، فالتربية عملية مقصودة وموجهة تختلف عن التعلم الذي يكون داخل المؤسسات أو خارجها؛ فالإنسان يتعلم طوال حياته، بينما التربية تتضمن جهدا مقصودا وتفكيراً نقدياً[٣١].

والأنشطة الدينية في المؤسسات التعليمية مجالها فضفاض واسع يمكن من خلالها تهيئة الفضاء المناسب لتربية النشء على القيم الدينية، وتوفير بيئة خصبة تنمو فيها تلك القيم وتترسخ، إلى جانب ما تتضمنه دروس مادة التربية الإسلامية من حمولات قيمية قيِّمة تساعد الأساتذة على تحقيق مقاصد تربوية عظيمة، لو أحسنوا توظيفها واستثمارها من خلال الدروس المقررة، سيما وأن المتعلم في حاجة ماسة إلى فضاء يشعر فيه بالانتماء، وقيم تشبع روحه وتجدد فيه الدماء، وأياد ممدودة إليه بسخاء، في زمن تقاذفته أهواء الماديات، وتجاذبته الملاهي والمُغريات، ولفظته أمواج الحياة.

والمؤسسات التعليمية إلى جانب الأسرة تتحمل مسؤولية ترسيخ النظام القيمي لدى الناشئة، من خلال وضوح الأحكام القيمية التي تسعى لإكسابها لهم، وأن تكون جزءاً من رؤية المؤسسة ورسالتها المعلنة.

ثالثاً: القيم الأخلاقية

تعرف بأنها المُثل والمبادئ والقواعد العامة التي توجه السلوك نحو الخير وتستهدف تحسين العلاقات بين البشر ويكتسبها الفرد من البيئة المحيطة به (الأسرة- المؤسسة- الإعلام)، وتترسخ في وجدانه لتصبح جزءاً من سلوكه[٣٢].

وتستهدف هذه القيم تحقيق الأمن الخُلقي لدى الأطفال والمتعلمين، ويتمثل الأمن الخلقي في الشعور بالارتياح والطمأنينة داخل الفرد لثبات أفعاله التي تصدر عن نفسه بشكل تلقائي متسق مع معايير المجتمع، وتتجسد أهم ملامحه

٣٠- عقل، محمود- القيم السلوكية لدى طلبة المرحليتين المتوسطة والثانوية في دول الخليج العربي، دراسة نظرية ميدانية- مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠١م، ص:٧٠. بتصرف

٣١- مرسي محمد منير، ١٩٩٩م، ص:٢١.

٣٢- محمود رشا رشاد، منصور عبد اللطيف، فتحي أسماء محمود، ٢٠١٩م، ص:٣٢.

داخل المؤسسات التعليمية في تنمية قدرة الطالب على النقد والتحليل وإصدار الأحكام، وتطويرملكات الإبداع لديهم حتى تكتمل واقعا مثمرا، والاجتهاد في حسن التعبير عن مكنوناتهم، وتكييف قدراتهم وطاقاتهم الداخلية وتوظيفها وفق مختلف الوضعيات التي تواجههم.

ولكي تتحقق آثار هذه القيم في أبعادها التربوية ينبغي على القائمين بمهمة التعليم والتربية الحرص على تحفيز جوانب الإبداع في طلابهم واستثارة نقاط التميز لديهم، وتوفير البيئة المناسبة لتنمية هذا النوع من القيم، والتأسيس لثقافة الحوار والتواصل البناء من خلال تفعيل دورالنوادي التربوية بما يخدم هذه القيم ويرسخ مبادئها.

وتتصل التربية بتهذيب الخلق وتنمية الأخلاق الحميدة في الإنسان وتربيته على الكمال والفضيلة، وهذا هو مفهوم التربية بمعناها التهذيبي أو التأديبي، وتعد أيضا عملية روحية لتعميق إيمان الإنسان بخالقه وتقوية صلته به، وكذلك هي عملية إعداد الإنسان للحياة وتكيفه مع مجتمعه، لأنها تعد عملية اجتماعية للفرد والمجتمع معاً[٣٣].

والرسول صلى الله عليه وسلم أعطانا القدوة الحسنة في التربية على مثل هذه القيم وتزكية النفوس بها، فقد بعث بالحنيفية السمحة " ليتمم مكارم الأخلاق"[٣٤]، ويؤسس لمجتمع فاضل، قوامه قيم إنسانية، وأخلاق فاضلة. والمعلم المسلم مطالب بنهج منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية باستحضار الأبعاد الروحية والتربوية في عملية التدريس، حتى يحقق ما هو المقاصد المرجوة من منظومة التعليم في بعدها التربوي والتعليمي، إذ لا تعليم بدون قيم وأخلاق تؤطر محيط المؤسسة وبيئة الاشتغال.

والتربية على الأخلاق تضع القوانين الأساسية وترسم المبادئ الكبرى التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في سلوكه، والمتعلم في علاقاته، فالغاية من الأخلاق هي تحقيق السعادة والرضا عن الذات من خلال اتباع فضائل المناقب، والتحلي بمكارم الصفات.

رابعاً: القيم الفكرية

الفكر بمعناه الاصطلاحي: "قوَّة مطردة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب"[٣٥].

ويأتي أيضا بمعنى " إعمال العقل في الشَّيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول"[٣٦].

فالفكر إمَّا أن يراد به الكيفيَّة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذٍ بمثابة الأداة أو الآلية في عمليَّة التَّفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقليَّة ونفسيَّة.

---

[٣٣]- مرسي محمد منير، ١٩٩٩م، ص:٢٣.

[٣٤]- وقد ورد هذا الحديث بلفظ " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"- رواه البخاري في كتاب " الأدب المفرد" – حديث رقم: ٢٧٣.

[٣٥]- الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن- دار العلم، دمشق - ط١٤١٢/١هـ-ص:٥٣.

[٣٦]- إبراهيم أنيس وآخرون – المعجم الوسيط- طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، ط٢ (بدون تاريخ)، ٦٩٨/١.

وإمَّا أن يراد به ما نتج عن ذلك من تصوُّرات وأحكام ورؤًى حول القضايا المطروحة، ثمَّ تتَّسع دائرة مفهوم الفِكْر أو تضيق تبعًا لمنطلقات المحدّد لمفهوم الفكر.

والقيم الفكرية تعني قيم المعرفة كفعل القراءة والكتابة والحساب والمهارات الأخرى التي يكتسبها التلميذ خلال مساره كالتحليل والتقييم وغيرهما[٣٧].

وتتضمن هذه القيم المؤْروث الفكْري للإنسان في جَميع ميادين المعْرِفة والعلوم على الصَّعيد النَّظري، وهي تهتم بتقويم الجانب العقلي وما ينتجه من أفكار ومعارف لها آثار على التصورات والسلوك، وتسهم في تكوين الفكرالوجودي للإنسان المرتبط بجوانب حياته المختلفة، وتبصره بأدوات التعايش وأساليب التفاعل الاجتماعي.

وتتشكل القيم الفكرية من نُظم تركيبية متعددة تؤسس لبناء منظومة منتجة ومنفتحة على مختلف الحلول العلمية " فالفهم، والذكاء، وملكة الحِكم، وما سواها من مواهب العقل هي تصورات وقواعد تسمح بتفسير الظواهر والأشياء وإضفاء طابع الوحدة عليها، أو تسمح للإنسان بأن يلائم بين سلوكه وبين غاياته وأهدافه العلمية، وكذلك الشجاعة والتصميم والإصرار على الهدف هي أشياء من خصائص المزاج وكلها خصائص خيرة خليقة بأن يطمح إليها الإنسان"[٣٨].

وبما أن الفكر انعكاس صادق لحياة الجماعة الإنسانية، فإن نوعه يتحدد بنوع هذه الحياة وبالإطار العقائدي الذي يوجه مسارها، وطالما أننا نعيش في مجتمع إسلامي، فإن الفكر الذي يعكس حياتنا الثقافية والأخلاقية (في المجال التعليمي) هو الفكر التربوي الإسلامي بكل أصوله وركائزه ومحدداته ومقوماته وأساليبه النابعة من شريعتنا الغراء من ناحية، ومن واقعنا الإسلامي من ناحية ثانية، ومن تطلعاتنا المستقبلية من ناحية ثالثة.

والإسلام أحدث ثورة فكرية وأخلاقية، وثورة قيمية أظهرت حقائق وأقرت تعاليم، وتتميز هذه الثورة بكونها مستمرة ومستجدة، آية ذلك إقرارها قيما إنسانية تضع الإنسان في أسمى منزلة على الأرض وتحله مرتبة منفرد لا يضاهيها سواها لدى سائر الكائنات الحية، ومنها القيم الفكرية.

والتربية على القيم الفكرية من الأهداف المنشودة في العملية التعليمية التعلمية، إذ تُستثمر في بناء شخصية المتعلم من الناحية العلمية والمعرفية من خلال ما يوظف في المناهج الدراسية والمقررات المدرسية من كفايات قيمية مهمة تخص هذه الجوانب، جادت بها المناهج الجديدة على المنظومة التعليمية، إذ جعلت من التلميذ محور العملية التعليمية واستهدفت مختلف الجوانب البنوية لديه؛ ومنها ما هو فكري معرفي، فتدرجت في بناء المعارف لديه عبر مستويات تعلمه، وارتقت بدرجات الوعي لديه إلى أسمى المراتب، وساهمت في مده بأساسيات التعلم الذاتي، ومفاتيح التعامل مع مختلف الوضعيات المعرفية، وحسن توظيف المعرفة فيها، وحررت

---

[٣٧]- أوليفير روبول– ط٢/٢٠٠٥م- ص: ٤٦.

[٣٨]- كانط، إيمانويل- تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق- ترجمة عبد الغفار مكاوي- مراجعة عبد الرحمان بدوي- الجمل للنشر والتوزيع، ألمانيا- ٢٠٠٢م، ص:٣٨.

عقله وفكره من قيود التبعية، وأهلته لأن يكون فردا واعيا ومسؤولا، وعضوا منتجا وفاعلا اجتماعيا، بما يراكمه من خبرات علمية ومعارف تنويرية.

ولا تتحقق هذه الأهداف إلا برؤية واضحة للقيمين على العملية التعليمية تضع المستجدات التربوية، والظروف المتغيرة، بعين الاعتبار وتؤسس بناءً على ذلك لمخططات تدبيرية تواكب التطور التكنولوجي وما يفرزه من تحديات على مختلف الأصعدة التعليمية والتربوية، فيختارون تبعا لذلك أنسب المناهج والوسائل التي توائم البيئة التعليمية للمتعلم، وتتوافق وتوجهاته الفكرية، وطبيعة ما يحتاجه من علوم معرفية وقيم تربوية تناسب مرحلته العمرية، وإلا كان التخطيط المُنظِّر له أجوفاً مفرغا من معانيه، وإن بدا للعيان منمقا في الشكل فالواقع قد يلفظه ولا يحتويه.

*** الخاتمة**

من خلال ما سبق نخلص إلى مجموعة من النتائج والتوصيات: –

*** النتائج**

١– أن مفهوم القيم يختلف تبعا لاختلاف التخصصات التي تؤطرها، والمجالات التي تنتظم وفقها، كما أنها تنتج آثارا مختلفة باختلاف البيئات والمجتمعات، كل بحسب توظيفه لها وطريقة تطويرها وتجديد روافدها.

٢– أن للقيم أهدافا عامة منها ما هو مرتبط بالفرد؛ إذ تسهتدف مختلف أبعاد شخصيته بالتقويم والبناء والتصحيح، وترافقه عبر مراحل نموه، ترتقي معه في المستويات وتؤطره بما يحتاجه من تعلمات، وتحميه مما يواجهه من تحديات، ومنها ما هو مرتبط بالمجتمع؛ إذ تؤسس لبيئة صحية سليمة، تحتوي أفراده، وتهيئ لفضاء مناسب متوازن يضمن له الاستمرار والتجديد المتواصل.

٣– أن التربية على القيم من أهم وسائل تنشئة المتعلم وبناء شخصيته، فهي المصدر الرئيس للارتقاء بالشخصية من جميع الجوانب؛ المعرفية، السلوكية، الوجدانية... وهي المحدد الأساس لتطوير فكره وإثراء بيئة تعلمه بما يحتاجه من زاد معرفي وقيمي في مختلف مراحل دراسته.

٤– أن القيم رغم كونها متنوعة ومتعددة، إلا أنها تنتظم بعقد متكامل ومتوازن تتوافق من خلاله لتقويم المتعلم وتطوير جوانب شخصيته، وإذا اختل أحد أركانها اختلت معه التربية في أبعادها، ما سيؤثر سلبا على شخصية المتعلم، وعلى المجتمع باعتباره نتاج نظام تعليمي موحد، ومؤطر بمنظومة قيمية متكاملة.

٥– أن التربية على القيم ليست مهمة المعلم فقط، بل يشاركه فيها كل الفعاليات المجتمعية؛ من أسرة، ومسجد، ووسائل الإعلام، والمدرسة... وعلى الجميع أن يعي أهميتها في تربية المتعلم، وأن يبادروا جميعا إلى توحيد الجهود ومضاعفة العمل لتحقيق الغايات المرجوة منها.

*** التوصيات**

١– أن تنمية القيم وتطوير منظومتها مطلب تربوي ضروري؛ لتحقيق غاية التعلم النافع، ولمواجهة التحديات التي تفرزها الثورة التكنولوجيا في مختلف المجالات، وعلى جميع الأصعدة، ولمواكبة متغيرات المجتمع بما يحمله من تأثيرات مباشرة على تربية المتعلم الأمر الذي يفرض إيجاد بدائل مناسبة لتفعيل دور

القيم وترسيخ مبادئها؛ سواء بتغيير طرق التدريس، أو تجديد المناهج أو تحيين دروس المقررات.

٢- أن موضوع القيم من الموضوعات الهامة والراهنة التي تحتاج إلى بحوث جادة ومتعمقة تتجاوز ما هو نظري إلى التطبيقي بالانفتاح على محيط المؤسسات التعليمية وإجراء دراسات ميدانية، تخترق الجدران لتصل إلى شخصية المتعلم وصلب الوجدان، لتحليل أسباب الانحدار القيمي في المدارس، ولتشخيص مكامن الداء، ولأن ذلك سبيل لإيجاد الحلول المستعجلة بتطوير المناهج وتوظيف القيم بما يوافق المستجدات، ولأن أي إصلاح لا بد أن ينطلق من تغيير الوصفات القديمة ما دامت فقدت فعاليتها، وانتهى تاريخ صلاحيتها.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

إبراهيم أنيس وآخرون — المعجم الوسيط- طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، ط٢ (بدون تاريخ)، ٦٩٨/١.

إبراهيم محمد كمال- في الفلسفة والأخلاق- دار الكتب الجامعية، القاهرة- ١٩٦٨م.

أبو النيل، محمود السيد- دراسات في علم النفس الاجتماعي- الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة ط١٩٨٤/٣م - ١٤١/١.

أوليفير روبول - قيم التربية- باريس - ط٢٠٠٥/٢م.

برجسون هنري- منبعا الأخلاق والدين- ترلاجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - ١٩٧١م.

الجلاد، ماجد - تعلم القيم وتعليمها- دار المسيرة/عمان- ط:٢٠٠٧/٢م.

الحياري ألاء محمد- أصول التربية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية- دار امجد للنشر والتوزيع، الأردن- ٢٠١٥م.

دياب، فوزية - القيم والعادات الاجتماعية- دار النهضة العربية، بيروت- ١٩٨٠م.

الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن- دار العلم، دمشق - ط١٤١٢/١هـ.

روزقبر جان بول، فلسفة القيم، تعريب عادل العوا، بيروت، دارعويدات للطباعة والنشر، ٢٠٠١.

زاهر، ضياء- القيم في العملية التربوية- مؤسسة الخليج العربي، القاهرة- ١٩٨٤.

الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى- تاج العروس من جواهر القاموس- المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية، مصر- ١٣٠٦هـ.

زين الدين، علي - الأخلاق والقيم في المعنى والمصطلح والتجربة- مجلة الاستغراب، العدد/٤، بيروت- ٢٠١٦م.

عبد الحليم، أحمد مهدي - تعليم القيم فريضة غائبة - مجلة المسلم المعاصر- ١٩٩١.

عسكر، علاء صاحب- نحو رؤية للقيم في ضوء القرآن والسنة النبوية- أطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد) - ٢٠٠٢م.

عقل، محمود، القيم السلوكية لدى طلبة المرحليتين المتوسطة والثانوية في دول الخليج العربي، دراسة نظرية ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠١م.

عكاشة، محمود فتحي ومحمد شفيق- مدخل إلى علم النفس الاجتماعي- بلبرنت للطباعة والنشر، القاهرة- ١٩٧٩م.

علي سعيد إسماعيل- التربية السياسية للأطفال- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - ٢٠٠٨م.

العوا، عادل - العمدة في فلسفة القيم- دمشق، دار طلاس للنشر والترجمة والتوزيع، دمشق - ١٩٨٦م.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب- القاموس المحيط — تحقيق مكتب التراث- مؤسسة الرسالة، ط/٢٠٠٥.

كانط، إيمانويل- تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق- ترجمة عبد الغفار مكاوي- مراجعة عبد الرحمان بدوي- الجمل للنشر والتوزيع، ألمانيا- ٢٠٠٢م.

المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، المغرب، يناير/٢٠١٧.

محمود رشا رشاد، منصور عبد اللطيف، فتحي أسماء محمود، ٢٠١٩م.

محمود زكي نجيب، وأحمد أمين- قصة الفلسفة الحديثة- مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة- ٢٠٢٠م.

مرسي محمد منير- أصول التربية- عالم الكتب، القاهرة- ط/١٩٩٩م.

مرعي، توفيق - الميسر في علم النفس التربوي - دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن- ١٩٨٢م- ص: ٢١٧.

ابن منظور، أبو الفضل - لسان العرب- دار صادر، بيروت.

نشواتي عبد المجيد، علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٣م.

النقيب عبد الرحمان، وبدرية صالح الميمان — تأصيل المفاهيم التربوية ضرورة أولوية للإصلاح التربوي- دار النشر للجامعات، القاهرة- ٢٠٠١م.

نورهان منير حسن فهمي- القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية- المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- ١٩٩٩م.

ثانياً- المراجع الاجنبية

Beck,C- Better Schools: A value Perspective,london,Falmer Press-1990